



مركز نماء للبحوث والدراسات
Namaa Center for Research and Studies
نماء وانتماء

namacenter



إضاءات من حياة "بيير فوجل" سيرة ومسيرة الداعية أبي حمزة الألماني

محمد توفيق

إضاءات من حياة "بيير فوجل"

سيرة ومسيرة الداعية أبي حمزة الألماني

محمد

إضاءات من حياة "بيير فوجل"

سيرة ومسيرة داعية أبي حمزة الألماني

محمد توفيق

إضاءات من حياة "بيير فوجل" سيرة ومسيرة الداعية أبي حمزة الألماني

محمد توفيق

قليلة هي السير الذاتية التي تتناول سير المصلحين في زماننا بصورة دقيقة ووفق روايات موثقة مع أصحابها.

يخط الصديق الشيخ سالم القحطاني بين دفتي كتابه الممتع «رجل من أقصى المدينة: السيرة الذاتية لبيير فوجل المعروف بأبي حمزة الألماني»^(١)، وبقلم رشيق ولغة مائعة؛ رحلة الداعية الألماني بيير فوجل إلى الإسلام، ويصحب قراء الكتاب لمحطات مفصلية من حياة أبي حمزة قبل إسلامه وبعدها.

سينشغل هذا المقال بتسليط الضوء على محطات مختارة من الكتاب، والسعي لتقديم قراءة ثقافية واجتماعية لها، نظرًا لأهمية مثل هذه المعالجات وأبعادها المختلفة التي يمكن الاستفادة منها في مثل تلك السير.

لبنات النشأة وبناء الشخصية

يقول أبو حمزة: «كانت مدرستي بما عرفت به من جدية وانضباط وسمعة حسنة في الولاية = تعني كثيرًا بالتربية، لم تكن تهتم بحشو المعلومات والمواد في أذهاننا فحسب، وإنما كانت التربية والانضباط والأخلاق والمسؤولية قبل كل شيء، فزرعوا فينا منذ الصغر، مجموعة من القيم العظيمة التي هي موافقة للفطرة وللأديان...»^(٢).

(١) «رجل من أقصى المدينة: السيرة الذاتية لبيير فوجل المعروف بأبي حمزة الألماني»، سالم القحطاني، دار عالم الأدب للترجمة والنشر - القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٢٠م.
(٢) سابق، ص ٢٧.

ويقول أيضًا: «علمونا منذ الصغر أن كل طالب له دور في هذا العالم وليس في نحيط المدرسة فحسب، كثيرًا ما كانوا يقولون لنا (علينا أن نغير العالم) و(علينا أن نحسن العالم) و(علينا أن نقدم شيئًا للعالم)، وهكذا مثل هذه العبارات العظيمة المحفزة والمشجعة التي تبعث الهممة وتذكي روح المنافسة في قلب الطالب»^(١).

تنبؤنا هذه الإشارات من أبي حمزة بأهمية الدور الذي لعبته المدرسة والمدرسين في تشكيل شخصيته في مراحلها الأولى، واللبنات الإيجابية التي وضعتها فلسفة التربية في هذه المرحلة من عمره، بعيدًا عن البيئة غير الإسلامية التي دار فيها سياق عملية التربية تلك.

يشدد أبو حمزة على رافد تربوي مركزي في نشأته وهو رافد ما يمكن تسميته «انتزاع الحق»، وهو بعد تربوي مهم ومفتقر في بيئاتنا التربوية العربية، ويتطلب تأسيسه تربويًا لترشيد يكبح جماح سطوته وغلوه.

يقول أبو حمزة: «تربيت منذ الصغر على أن (أخذ حقي بيدي) وألا أطلب من أحد أن ينتزع لي حقي من أحد... وهكذا تعلمت منذ الصغر أن (الحقوق تنتزع ولا توهب) وتعلمت (ألا أسكت عندما يلحقني ضيم)»^(٢).

هذه المقولات التأسيسية في بناء شخصية فوجل منذ الصغر تعطينا ملامح مهمة لشخصيته الفاعلة والمؤثرة دعويًا وفكريًا لاحقًا، إذ يعتبر هذا البعد من أكثر أوجه القصور التي تتسم بها جل بيئات التربية في عالمنا العربي، خاصة مع تزايد موجات الاستبداد والتسلط السياسي، والعنف والعنف المقابل، وهي أمور راكمتها نزوع المؤسسات التربوية العربية منذ بواكير القرن التاسع عشر لترسيخ مبادئ التقديس المبالغ فيه للحكام العرب، وتوسيع دوائر الخوف من السلطة والنظام وبطشه. بالإضافة إلى ظهور التيارات الدينية التي شكلت مقولات شرعية تبرر للحكام والناظرين والمتسلطين؛ تسلطهم أو لزوم غض الطرف عن فسادهم.

(١) السابق، ص ٢٧ - ٢٨.

(٢) السابق ص ٣٧.

احتراف الملاكمة: طاقة شبابية غير مهدرة

أحد أهم المحطات التي ذكرت في الكتاب؛ محطة احتراف فوجل رياضة الملاكمة، والتي رسخت عدد من السمات الشخصية فيه قبل إسلامه وساهمت في اكتمال تلك الشخصية الدعوية المثابرة والقوية التي تميز بها أبو حمزة لاحقًا.

يقول أبو حمزة: «وعالم الملاكمة هو عالم عجيب مليء بالتحدي والحماس والشجاعة والإقدام، فهي لعبة لا تصلح للجنباء ولا الضعفاء... استفدت منها كثيرًا في تقوية شخصيتي وحب الشجاعة وبغض الجبن، وهي تعلمك الدقة والانضباط والالتزام بقواعد اللعبة والحدود المتاحة لك للتحرك والضرب، كما تعلمك السيطرة على نفسك وغضبك وأنت في قمة الحنق والاندفاع». ويقول أيضًا: «هذه الرياضة تعد من أصعب الرياضات لأنك مطالب بأن تستعمل أكثر من طاقتك ووسعك لتصل إلى غايتك... وكان المدربون يفرسون فينا دائمًا أن (لا مستحيل) ولا تقل (لا أستطيع) بل (أنت تستطيع) وكان هذا يؤثر في عقليتي كثيرًا»^(١).

الحقيقة أن تكرار هذه المحطات في حياة فوجل تؤكد على أهمية التأسيس النفسي والفكري المتعلقة بضرورة بناء الشخصية والنفسية الصلبة والمثابرة، فكلمات وتعبيرات فوجل في هذا الصدد تشير إلى رافد أساسي شكّل جزء كبير من عقليته، والتي ساهمت بصورة واضحة في تجاوزه للكثير من أزمات ومشكلات الحياة التي تواجه قطاعات واسعة من الشباب وغالبًا ما يتعذر عليهم تجاوزها أو التعامل معها بصورة تجمع بين الحكمة والقوة والرشاد.

ولأننا نعاني في عالمنا العربي من تشوهات بناء النفسيات والعقليات منذ نعومة أظفارنا في المدارس وحتى مراحل الدراسة الجامعية وما بعد الجامعية، ثم مواجهة الكثيرين لمزيد تشوهات في سوق العمل وشتى مناحي الحياة الاجتماعية؛ فإن تسليط الضوء على محطة البناء الفتي والقوي لفوجل وأثرها في قراءتنا التحليلية لإنجازاته التي تلت إسلامه والقوة التي لازمتها في غالب رحلاته الدعوية في مختلف الأقطار والبلاد تعطينا الكثير من الفوائد والمعارف الضرورية لطبيعة التنشئة والتربية المرجوة للأجيال القادمة.

البصيرة السياسية في زمن الدروشة

لا يبدو أننا بحاجة ماسة للتعمق في أغوار تحول فوجل إلى الإسلام بقدر حاجتنا لتكوين صورة أكثر اتساعاً لمجمل حياته قبل وبعد الإسلام لتبين أثر مختلف المحطات التي مر بها في رحلته والتي ساعدت بصورة كبيرة في تكوين عقليته المتبصرة على مختلف الأصعدة.

توقفت ملياً عند محطة تنبئه بسقوط حكم محمد مرسي في العام ٢٠١٣، وتبصره بتوفر مقومات ما حدث خلال هذا العام الدامي، ووجدت أن مجمل ما كونه واكتسبه فوجل في حياته من خبرات وموارد علمية وعملية وتربوية؛ ساهم بقوة في قدراته على التفكير والتنبؤ والاستشراف، وأكسبه مهارة غير أكاديمية، وأقرب ما تكون للفطرية، ساعدته على تكوين مهارة التفكير المنطقي والواقعي، ومتخففاً من التفكير الرغائبي والأمنيات الذي انتشر في سنوات ما بعد الثورة، خاصة لدى قطاعات كبيرة من الإسلاميين ومشايخهم وقياداتهم.

أشار فوجل في عدة مواضع من سيرته إلى هذا العيب الذي تسبب في خسائر فادحة للتيار الإسلامي آنذاك، وألمح إلى جهوده التي سعى من خلالها لتبصير بعض المقربين والمعارف لخطر هذا المسار الذي اتخذوه في هذه المرحلة، وقد أبهرنى فوجل بهذا الصدد، ونظراً لطبيعة اهتماماتي السياسية والثقافية، بمساربه الدعوي الرشيد والسياسي البصير، وهما سمتان مفتقرتان بشدة لدى صناع القرار داخل التيار الإسلامي.

رسم الأستاذ سالم القحطاني «بورتريه» رائع بقلم رشيق لسيرة الداعية أبي حمزة الألماني «بيير فوجل»، واستطاع ببراعة عزف مقطوعة دعوية عذبة تطرب قراء هذا الكتاب وتبعث في نفوس الكثير ممن تتوق نفسه لمعرفة نماذج دعوية مشرفة في زماننا هذا.